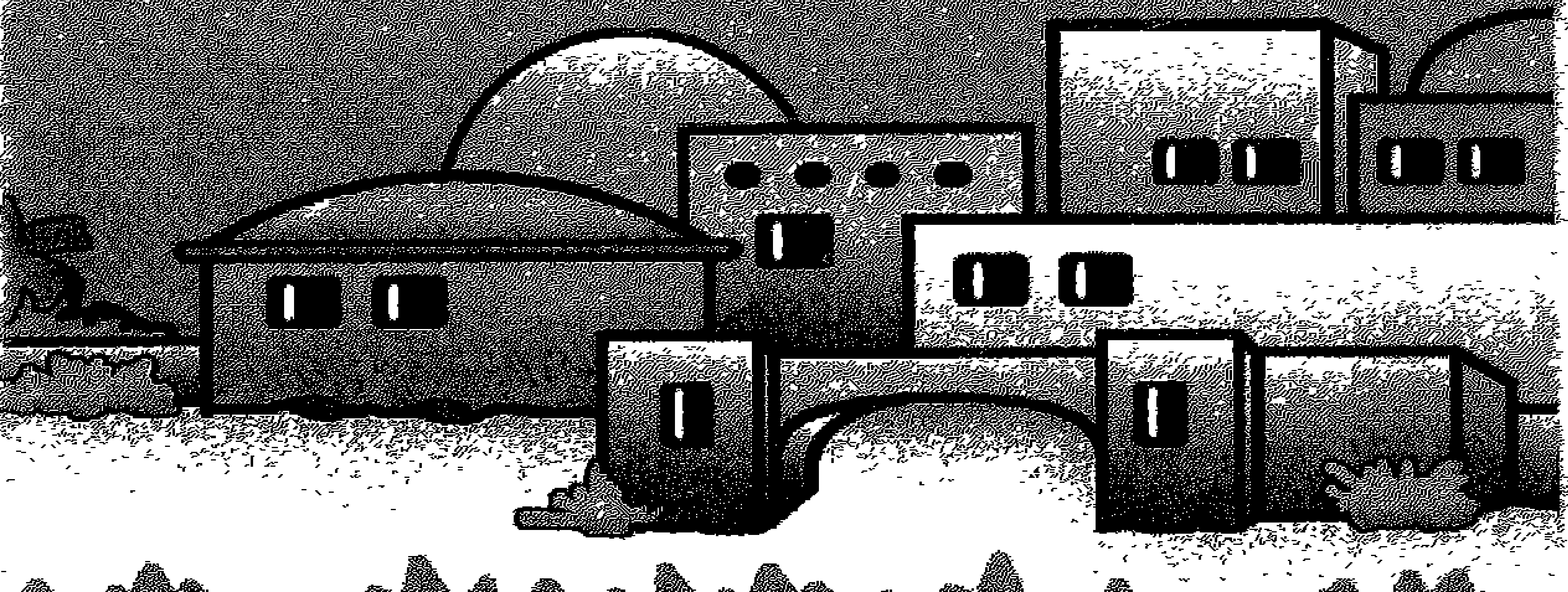




جورج الدريه

خمس قرى

بيت لحم

الناصرة

كفر ناحوم

بيت عنيا

عمواس

جورج أندريه

١٩٩٩

المحتويات

مقدمة للترجمة العربية

نُشرت ترجمة جزئية لهذا الكتيب في مجلة المراعي الخضراء، إبان الخمسينات، على خمس مقالات، أوجزت فصوله الخمسة التي تتحدث عن حياة الرب يسوع في تلك القرى. وقد قادنا الرب بنعمته إلى استكمال ترجمته، حتى نقدم هذا الكتيب كاملاً للقارئ العربي، لاسيما لإخوتنا الشباب لما فيه من نفع لا يُخطأ.

وقد اقتبس الكاتب في تأملاته من أقوال بعض رجال الله الذين سبقوه، وذيّل هذه الاقتباسات باسم الكاتب الذي اقتبس عنه. وفي هذه الطبعة وضعنا الاقتباسات بين علامتي تنصيص (" ") *بالخط المائل* لتمييزها عن تأملات الكاتب، وذيلنا كل اقتباس برقم يدل على اسم الكاتب الذي اقتبس عنه:

فالاقتباسات المذيلة بالرقم (١) مأخوذة عن *يوحنا بللت*

والاقتباسات المذيلة بالرقم (٢) مأخوذة عن *يوحنا داربي*

والاقتباسات المذيلة بالرقم (٣) مأخوذة عن *هنري روسييه*.

ونحن نطلب من إله كل نعمة أن يكون هذا الكتاب داعياً لكل من يقرأه إلى أعماق أبعد في الشركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح ربنا.

خمس قري

«ولكن انموا في النعمة وفي معرفة
ربنا ومخلصنا يسوع المسيح»
(٢بط٣:١٨).

هذه الصفحات تقدم لنا شخص الرب يسوع المسيح نفسه؛ وموضوع مثل هذا واسع جداً، ولكي نحصره قسمناه إلى خمسة أجزاء، كل منـــها يمثل فترة من حياة مخلصنا ارتبطت بواحدة من خمس قرى:

بيت لحم : حيث ولد.

الناصرة : حيث تربى.

كفر ناحوم : مركز خدمته في الجليل.

بيت عنيا : في اليهودية، وهي ربما تكون المكان الوحيد الـــذي وجد فيه بعض القلوب التي تفهمه، وحيـــث أظـــهر مجده بصفة خاصة.

عمواس : حيث فتح الإنسان المقام من الأموات الكتب لتلميذيـــن كان قلبهما ملتهباً فيهما.

خمس قرى؛ وخمس مراحل من حياة الرب يســـوع علـــى الأرض، حيث ظهر هذا المجد الذي قال عنه الرسول يوحنا «والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقـــاً» (يو ١:١٤).

* * *

"ما الذي كان يعطي في عيني الله قيمة للرحلة التي واصلها شـــعب

إسرائيل من مصر إلى كنعان؟ ليست المشـــقات والمصـــاعب التـــي تحملوها (إلى حد ما)، بل أن التابوت كان في وسطهم محمولاً بواســطة شعب مفدي بالدم من مصر، متجهاً إلى كنعان بالإيمان بالوعد"[١].

هذا التابوت كان رمزاً لشخص المسيح نفسه حاضراً علـى الأرض. أفلا يجب أن يأخذ المكان الأول في قلوبنا، ويكـــون مركـــز عواطفنـــا وأفكارنا؟!

عندما نتأمل شخصاً عجيباً بهذا المقدار؛ يتعين علينا أن نتحذر مـــن أمرين:

* ففي متى ١١:٢٧، قال الرب نفسه «ليس أحـــد يعـرف الابـــن إلا الآب»؛ إنه في شخصه سر لا يمكن سبر أغواره؛ "*إنه ذاك الذي كان منذ الأزل مع الآب، وقد صار إنساناً، وجاوز كل معرفة فـــي عمق سر كيانه، فيما عدا علم الآب نفسه*"[٢]. كـــان قديمـــاً يُقـدَّم الاحترام للتابوت، وكان للكهنة فقط أن يحملوه، ولم يكن مســـموحا لأحد أن ينظر داخله، وإلا يموت. "*إن الابن الوحيـد، ابـن الآب، أخلى نفسه ليتمم مسرة الله عن طريق خدمة خطاة بائســين. فـــهل يسمح الآب لمن ارتضى الابن لأجلهم هذا الاتضـــاع أن يســتغلوه ليقللوا من قيمته؟*"[١].

* وعلى العكس من ذلك، يمكن أن يقول واحد إن هذا السر عظيـــم

جداً، وإنه أعلى منه؛ لكن الكلمة تدعونا بوضوح وصراحة أن نتأمل هذا المجد الذي له «كما لوحيد من الآب» (يو ١٤:١)، «لاحظوا يسوع» (عب٣:١)، «نساظرين مجد الرب بوجه مكشوف» (٢كو٣:١٨).

ما أعجبه موضوعاً: مجد الرب يسوع الأدبي! "*إن واجبنا الأول تجاه هذا النور هو أن نعرف منه من هو يسوع. ليس علينا أن نقيس أنفسنا في ضوئه، بل لنتعلم المسيح في كمال ناسوته الأدبي في هدوء وفرح وشكر. صحيح أن هذا المجد قد فاتنا، ولم تعد صورته الحية موجودة على الأرض، لكن الأناجيل تخبرنا به. كان التلاميذ يعرفون المسيح شخصياً، وما كان يجذبهم هو شخصه وحضوره هو، وهذا هو عين ما نحتاجه نحن بصورة أعمق*"[1]



«والكلمة صار جسداً» (يو١:١٤)

«أخلى نفسه» (في٢:٧)

التجسد

(مت١: ١٨-٢٣، لو١: ٢٦-٣٥)

«عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد» (١تي٣: ١٦). أمام هذا السر، سر التقوى في الإيمان «بيسوع المسيح آتياً في الجسد»، كم يليق بنا أن نلزم غاية الخشوع والوقار، والكلمة تسرد لنا في حرص بالغ قصة الحبل بالطفل الإلهي: «الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لو١: ٣٥). لم يكن يوسف بالحقيقة أباه، ولكنه كان كذلك شرعاً فقط.

ففي قرية الناصرة المتواضعة، تلقت فتاة عذراء بسيطة، إعلاناً عن الأمر الذي كان سيتم فيها. هناك تبددت مخاوف نجار فقير، عندما تأكد أن الطفل الذي سيولد، والذي حُبِل به من الروح القدس، هو الذي سيخلص شعبه من خطاياهم (مت١: ٢١).

قال الملاك ليوسف «وتدعو اسمه يسوع»، كما قال لمريم «وتسمينه يسوع» أي "الرب المخلص". ويضيف الملاك ليوسف القول «ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا». ولمريم يحدد ويخصص فيقول «ابن العلي يدعى... القدوس المولود منك يُدْعَى ابن الله» (لو١: ٣٢، ٣٤).

اسمُ يسوعَ اسمٌ سما عجيبْ	فاقَ على الأسماءِ طرا
سناه شقَّ ليلَنا الكئيبْ	بعد ظلامٍ دامَ دهرا
هو الإلهُ السرمديْ المهوبْ	جالَ هنا يصنعُ خَيرا
ها حملُ اللهِ على الصليبْ	به يصير العبد حرا
قام من الأموات ذا الحبيبْ	محصلاً مجداً ونصرا
نعمته ذاعت في كل صوب	تحملُ إنجيلاً وبشرَى
رجاؤنا نلقاهُ عن قريبْ	أنعم به حظاً وفخرا*

الميلاد

(لو٢: ١-٧)

كانت البشارة بالميلاد في الناصرة، لكن الأنبياء كانوا قد تنبأوا أنه في بيت لحم سيولد المسيح (مت٢: ٤-٦، مي٥: ٢). فيستخدم الله الإمبراطور الروماني نفسه وهو لا يعلم، لكي عن طريق الأمر بإجراء الاكتتاب (الإحصاء) يصعد يوسف ومريم «من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم» (لو٢: ٤).

بيت لحم... يالها من ذكريات غالية تعيدها علينا هذه القرية. هناك بعد مشقات السفر الطويل، وبعد التعب في ولادة بنيامين، فاضت روح راحيل، وقبرها هناك إلى هذا اليوم. وفي حقول بيت لحم التقطت الأرملة المسكينة راعوث، التي جاءت من بلاد موآب لتحتمي تحت

* عن ترنيمة فرنسية بتصرف.

جناحي إله إسرائيل. وهناك رعى داود الفتى المحتقر من إخوته قطعان الغنم. وهناك أيضاً، في مسارح تلك القرية الصغيرة، سمع رعاة بسطاء البشارة المفرحة بولادة المخلص.

لم يكن مكان لرب المجد بالمنزل ليولد فيه، ولذا اضطرت مريم أن تضجعه بمذود بقر. وبحرص شديد يصف لنا المكتوب هذا المشهد «فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل» (لو٢:٧).

الرعاة

(لو٢: ٨-٢٠)

أذاع الملاك البشارة بمولد المخلص، ليس لسكان أورشليم، ولا لوجوه اليهود في بيت لحم؛ بل كان أول من تلقى البشارة أولئك الرعاة الذين كانوا يحرسون حراسات الليل، وقال لهم الملاك «إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب» (لو٢:١١). والمخلص لاشك جاء لكل من يضع ثقته فيه، ولكن الملاك يقول للرعاة «وُلد لكم» ليبدد خوفهم ويزيح عنهم انزعاجهم. وكل منا يستطيع أن يقول: من أجلي جاء إلى الأرض.

ثم يقول الملاك «وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مذود»، يالها من علامة غريبة لتمييز المسيح الرب من بين جميع أطفال

بيت لحم، بإضجاعه في مذود! لقد تعرف الشعب على شاول، أول ملوك إسرائيل، بأنه «كان أطول من كل الشعب من كتفه فما فوق» (١صم١٠)، أما العلامة المميزة ليسوع المسيح فهي منتهى الفقر. والرسول يقول «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم أفتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره» (٢كو٨: ٩). وفي الأمثال ١٣: ٧ نقرأ «يوجد من يتغانى ولا شيء عنده»، وكم من أناس يظهرون على غير حقيقتهم، فيفخرون بالغنى المادي والمعنوي الذي لا يمتلكونه. ولكن الكلمة تضيف «ومن يتفاقر وعنده غنى جزيل»، إن البخيل يتظاهر بالفقر ليخفي غناه؛ ولكن ليس الكلام عنه هنا، بل عن آخر؛ افتقر بالرغم من أن لديه غنى كثير. هكذا كان في بيت لحم.

ذهب الرعاة مسرعين إلى بيت لحم، وهناك وجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المذود. فلما رأوه، أخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن الصبي. ثم رجعوا وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوا ورأوا. فلا مريم ولا يوسف، بل الصبي وحده هو الذي استرعى التفاتهم، واستوقف أبصارهم، واستحوذ على قلوبهم.

الختان والتطهير

(لو٢: ٢١-٢٨)

«مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس» (غل٤: ٤). كان ينبغي أن يُعمل للطفل يسوع كل ما هو مرسوم في الناموس. من أجل ذلك

خُتن في اليوم الثامن، علامة افتراز شعب الله على الأرض عن باقي الشعوب. ثم عند تمام أربعين يوماً من ولادته صعد به أبواه إلى أورشليم لغرض مزدوج، أولاً لكي يقدموه للرب، وثانياً لكي يقدموا ذبيحة كما هو مرسوم في سفر اللاويين١٢.

وهل كانت هناك حاجة إلى ذبيحة "لافتداء" الطفل الصغير؟ كلا البتة. أما زوج اليمام الذي قُدم حسب لاويين ١٢:٨ فقد كان من أجل الأم وليس من أجل الطفل. كانت هي في حاجة إلى التطهير بذبيحة، أما هو له المجد فكان الكامل منذ ولادته.

كان الواجب على مريم أن تقدم خروفاً وليس يمامة، ولعلمها بمن هو الطفل المجيد الذي ولدته كانت بلا شك ترغب في ذلك بحرارة، لكن يوسف ومريم كانا فقيرين جداً! والشريعة أعدَّت مقدَّماً علاجاً للمعوزين «وإن لم تنل يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتين أو فرخي حمام الواحد محرقة والآخر ذبيحة خطية فيكفر عنها الكاهن فتطهر».

كانت مريم تعرف، وكذلك يوسف، أن الطفل الذي قدَّماه للرب في ذلك اليوم هو ابن العلي، ابن داود، ابن الله. و كان لهما أن يتوقعا – على الأقل من البعض أمثال الكهنة والشيوخ والحكام – أن يتعرفوا على الطفل؛ ولكن الجميع بدا منهم عدم اعتبار له بالمرة. لكن الله أراد في ذلك اليوم أن يتبرهن مجد ابنه، سراً؛ ولكن بوضوح.

في ذلك اليوم قام سمعان الشيخ، الذي كان قد أُوحي إليه أنه لا يرى

الموت قبل أن يرى مسيح الرب، وبدافع من الروح القدس جاء إلى الهيكل في الوقت الذي دخل فيه يوسف ومريم بالصبي يسوع ليصنعا له حسب عادة الناموس. وهنا تقدم سمعان ــ وياله من مشهد مؤثر ــ وأخذ هذا الشيخ الصبي على ذراعيه، وبارك الله قائلاً «عينيّ قد أبصرتا خلاصك». لقد سبق أن قيل للرعاة «وُلد لكم اليوم... مخلص» وحنة النبية تكلمت عنه مع جميع المنتظرين «فداءً»؛ أي "خلاصاً"، في أورشليم.

«وكان يوسف وأمه يتعجبان مما قيل فيه. وباركهما سمعان». ولعله كان يبدو أمراً طبيعياً لو أن سمعان بارك أيضاً الطفل المحمول على ذراعيه، لكن بركة هذا الشيخ استقرت على الأبوين فقط، ذلك لأنه «بدون كل مشاجرة الأصغر يبارك من الأكبر» (عب٧:٧). فلم يكن ممكناً ولا حتى لشيخ كسمعان أن يبارك المسيح الرب، لأن سمعان نفسه كان في حاجة لأن يتبارك منه. أولم يجد هذه البركة، إذ قال «الآن تطلق عبدك يا سيد... بسلام»؟

في تلك الساعة جاءت حنة «ووقفت تسبح الرب وتكلمت عنه» (لو٢:٣٨). فبالرغم من تقدمها في الأيام، وظروفها الأليمة، لم تكن تشكو، بل «تكلمت عنه». إن الرب الذي كانت تسبحه، هو إله السماء؛ والذي كانت تتكلم عنه هو نفس الشخص الذي كانت تسبحه.

كم لمع مجد ابن الله في هذا المشهد بصورة رائعة!

المجوس

(مت٢: ١-١٢)

وآخر من تكلمنا عنهم الكلمة في بيت لحم، هم هؤلاء الضيوف القادمون من المشرق. ولا يوجد في الكلمة ما يؤيد أنهم كانوا ملوكاً، أو ما يؤيد أنهم كانوا ثلاثة. كان قد مضى بعض الوقت منذ ولادة المسيح، وكانت مريم تقيم معه في بيت (ع١١). كان هذا بعد نحو سنتين من ميلاده، لأنَّ هيرودس لما تحقق زمان النجم الذي ظهر قرر أن يقتل جميع الصبيان من ابن سنتين فما دون.

جاء هؤلاء المجوس من أرض بعيدة بكنوزهم، وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه فخرُّوا وسجدوا له. ولم يكن ممكناً أن يكون السجود للأم بل للطفل وحده، وله وحده أيضاً قدموا الهدايا التي جهزوها. وهنا نرى فيهم مثالاً جميلاً للسجود المشبع لقلب الرب، إذ نأتي وقلوبنا قد تهيأت لتقديم السبح له، فلا نظهر أمامه فارغين. والذهب – كما في خيمة الاجتماع – يشير إلى شخصه الكريم كالآتي من السماء من عند الآب. واللبان يشير إلى رائحته الزكية التي فاحت لله من حياته الكاملة ومن موته وطاعته وإخلاصه. والمُرُّ يذكرنا بآلامه.

الهروب إلى مصر

وهل جيء بالطفل إلى مصر لإنقاذ حياته؟ كلا، فإن الأناجيل

الأربعة تُرينا جميعها أنه لم يكن لأجل هذه الغاية قد هرب به أبواه إلى مصر، لأن أحداً لم يستطع أن يلقي عليه اليد قبل أن تأتي ساعته، ولم يكن في مقدور أحد أن يقتله ما لم يسلم هو نفسه بنفسه. "*كان هكذا، من بين مواقف أخرى لاتضاعه، مطيعاً حتى في الهروب إلى مصر، كما لو كان لإنقاذ حياته من غضب الملك.. لقد كان يُخفي عظمته تحت صورة محتقرة*"(١).

ومن جهة أخرى فواضح أن عين الله كانت ساهرة على الطفل. ولكن لأجل تتميم المكتوب «ومن مصر دعوت ابني» جاء به الله إلى مصر.

أما أطفال بيت لحم، قتلى غيرة هيرودس وضحايا غضبه، كانوا من بين من قال عنهم المسيح بعد ذلك «لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك ... وليست مشيئة أمام أبيكم الذي في السماوات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار» (مت١٨: ١١-١٤).

مأساة مؤلمة شهدتها الأرض نتيجة لخطية وبغضة العدو؛ أما في السماء فإن جمعاً لا يحصى من الأطفال سيرنمون ترانيم الحمد الجزيل:

عمانوئيلُ جاءنا	من السما لأرضِنا
الله جاءَ بالجسدْ	حقٌ له سُجودُنا
سبِّحْ له يا شعبَهُ	ذا ربُنا سيدُنا*

---

* عن ترنيمة فرنسية بتصرف

الناصرة

«أمِنَ النـاصرة يمكـن أن يكـون شــيء صالح؟» (يو١: ٤٧)

سنوات الصمت

(لو٢: ٣٩-٥٢)

من متى٢: ٢٣، ٤: ١٣ تتحدد مدة إقامة يسوع المسيح في الناصرة. والواقع أنه في تلك القرية، بين التلال الواقعة غربي بحر الجليل، قضى ربنا يسوع الجزء الأكبر من حياته على الأرض. هناك «كان قد تربى» كما يقول لوقا (٤: ١٦).

كان ينمو في كل شيء نمواً طبيعياً. لقد كان ناسوته طبيعياً كاملاً. وقد نمت حكمته جنباً إلى جنب مع قامته وسنه، كان أولاً طفلاً، ثم رجلاً؛ هكذا نراه في لوقا٢: ٤٠ في طفولته، وفي لوقا٢: ٥٢ في شبابه. كان كاملاً في كل المراحل، وكان يسلك في كل شيء بما يناسب سنه والمركز الذي أخذه.

ويا له من مثال للشباب الذين يريدون أن يسبقوا الزمن، ويقومون بما لم يُعهد به إليهم بعد، أو للشيوخ الذين كثيراً ما يتصرفون كغلمان، ناسين الخدمة التي ائتمنهم الرب عليه، مهملين استخدام الموهبة التي أخذوها «كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة» (١بط٤: ١٠). فمثلاً لا يليق بشاب حديث السن أن يأخذ في الاجتماع مركز المعلم لشيوخ من حوله. بل عليه أن يمارس محبته للرب ولأخوته، ويصلي في اجتماعات الصلاة، ويتعلم ممن هم أكثر اختباراً وأعمق فهماً لكلمة الله،

حتى ينمو في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع المسيح (٢بط٣: ١٨). وعندئذ تكون الكلمة في أوانها – بحسب ما يقوده الرب – مقبولة، بل ومرغوبة أيضاً.

لم تذكر كلمة الله لنا أية معجزة صنعها الرب يسوع في طفولته أو في حداثته، فإن الوقت لم يكن قد أتى بعد. لكن لما جاء الوقت لم يُقصِّر قط في إتمام خدمته. ففي طفولته وصباه كان خاضعاً لأبويه، لكن في دور الخدمة فيما بعد لما أرادت أمه وأخوته أن يعطلوا بعضاً من نشاطه نراه يتجاهلهم.

في كل شيء تصرف كما يليق بطفل، ولكن روح الله أراد أن يسجل لنا واقعة عيد الفصح في أورشليم (لو ٢: ٤١-٥٠) لكي يرينا أنه في سن الثانية عشرة كان يدرك أنه المرسل من الآب، وأن مكانه كان هو الهيكل، لا ليعلِّم، كما فعل بعد ذلك المرات الكثيرة وإلى آخر أيام حياته، ولا لكي يطرد منه الدخلاء؛ بل ليجلس وسط المعلمين «يسمعهم ويسألهم». فلم يكن يليق به وهو صبي أن يعلمهم، لكن كانت أسئلته وأجوبته دقيقة ومدهشة، حتى أن «كل الذين سمعوا بهتوا من فهمه وأجوبته» (لو٢: ٤٦، ٤٧).

هناك درس آخر نستخلصه من التطبيق الأدبي لهذا المشهد. فأحياناً نفقد الشركة بسهولة مع الرب، وكثيراً ما لا نشعر بذلك. لقد ذهب أبواه مسيرة يوم «ولم يعلما» أن الصبي يسوع لم يكن معهما. وشمشون بعد

ما حُلِقت خصل شعر رأسه ظن أيضاً أنه لا يزال محتفظاً بقوته الخارقة، ولم يعلم أن الرب فارقه (قض ١٦: ٢٠). وفي سفر النشيد لا تريد العروس أن تتعب وتفتح بابها بينما حبيبها يقرع، بل تقول «قد خلعت ثوبي فكيف ألبسه. قد غسلت رجلي فكيف أوسخهما» (نش٥: ٣). ولما قامت لتفتح إذا به قد تحول وعبر. هكذا الحال، فكل شر أو إهمال يتأتى منا عن وعي به، ولا ندينه ونحكم عليه؛ كفيل بأن يقطع شركتنا مع الرب ويحرمنا من التمتع بمحبته.

وقد نسترد الشركة سريعاً، إذا نحن حكمنا على أنفسنا واعترافنا على الفور للرب بالسبب في قطع الشركة. ولكن أيضاً قد يتعوّق رد النفس ويستلزم الأمر تدريباً طويلاً. لقد ظل يوسف ومريم ثلاثة أيام يطلبان الصبي في أورشليم ولم يجداه، لأنهما لم يفكرا في البحث عنه في الهيكل (مز٢٧: ٤).

المعمودية

(مت٣: ١٣-١٧، لو٣: ٢١، ٢٢)

يخبرنا متى أنه قبل أن يترك الرب قرية الناصرة ليأتي ويسكن في كفر ناحوم «جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه». لقد أعلن يوحنا المعمدان أن ملكوت السماوات قد اقترب، كما تكلم عن قوة ذاك الذي سيأتي بعده، الذي يوحنا لم يكن أهلاً لأن يحمل حذاءه.

وحذر من دينونة سيجريها هذا الآتي، إذ سينقي بيدره ويحرق التبن بنار لا تطفأ. وعلى ذلك كان المتوقع هو أن يظهر الرب يسوع كالملك في جلال مجده القضائي.

لكن جاء يسوع إلى الأردن من الجليل – الكورة المحتقرة في أرض إسرائيل، وذلك ليس ليتوّج، بل «ليعتمد». فهو قد جاء ليحمل في نفسه علامة الموت. وأخذ مكانه بين التائبين في إسرائيل، المعترفين بخطاياهم، حتى تتهيأ قلوبهم لقبول الآتي. لم يكن هو في حاجة إلى التوبة في شيء، لكن لاق به – وكان أيضاً في ذلك باراً – أن ينضم إلى زمرة الطالبين الله "*أخذ أمام الله مركزه بين أذل الشعب، وهذا يتفق مع المركز الذي أخذه في العالم*"[٢].

لكن الآب شاء أن يميزه عن الكل. فبعد أن «تكلم عنه» أولئك الذين ذكرهم لوقا في الأصحاحات الثلاثة الأولى من إنجيله، جاء صوت الآب نفسه قائلاً «أنت ابني الحبيب بك سررت».

زيارات للناصرة

هل زار الرب قرية الناصرة بعد ذلك أكثر من مرة في مدة خدمته؟ من الصعب أن نجزم بذلك. من المحتمل أن يكون لوقا ٤: ١٦–٣٠ قد جمع زيارتين أو ثلاثاً متتاليات، إحداها المذكورة في متى ١٣: ٥٤–٥٨ ومرقس ٦: ١–٦، وقد تكون كما يُفهم من لوقا – زيارة واحدة، رُحب

به في أولها، ورُفض في نهايتها.

«ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت». كانت هذه عادته منذ الطفولة، وفي ذلك يترك لنا مثالاً لما يجب أن نفعله مع أولادنا، ففي الثانية عشر من عمره، لما أراد أبواه أن يصعدا إلى أورشليم في الفصح، كان هو في صحبتهم. وهكذا ينبغي أن نصطحب أولادنا من طفوليتهم معنا يوم الرب حين نذهب لنصنع ذكرى موته من أجلنا*.

وفي المجمع كانت العيون شاخصة إليه لما قرأ من سفر إشعياء الفصل الذي يتكلم عن النعمة. وقد توقف عن القراءة عند الكلمات التي تعلن الدينونة. والجميع تعجبوا من كلمات النعمة الخارجة من فمه، فيبرز واحد من أمجاده. «انسكبت النعمة على شفتيك» (مز٤٥). فهو قد مُسِح ليبشر المساكين، ويشفي المنكسري القلوب، لينادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر، ويرسل المنسحقين في الحرية، ويكرز بسنة الرب المقبولة؛ هذه السنة المقبولة التي لم تنتهِ بعد «هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص» (٢كو٦: ٢).

ولكن لن يدوم الحال هكذا، ففي رؤيا ٥ نراه من جديد والعيون شاخصة إليه، وهو ممسك بسفر ليس هو سفر النعمة، بل سفر الدينونات التي ستنصب على رافضي محبته في يوم غضب الخروف (رؤ٦: ١٦).

---

* كما أيضاً في سائر الأيام، لنتعلم من كلمته ونتعبد لشخصه – المعرب.

«فقاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل». كم سنة قضاها في الناصرة في كل وداعة وخضوع؟ كان آنذاك ينمو في النعمة عند الله وعند الناس، وهاهو يحصد من قومه، وبدل محبته يخاصمونه (مز ١٠٩: ٤).

كان ممكناً أن يدع الجمهور الغاضب يلقيه من على حافة الجبل، فيتمجد أمامهم، إذ يصل إلى سفحه سالماً محفوظاً، تماماً كما كان ذلك مستطاع لديه عند تجربة الشيطان له أن يلقي بنفسه من على جناح الهيكل ولا يُضرَ، ولكن " *عندما كان الخطر يواجه حياته لم يكن يعمل ما يدهش العالم أو يثير إعجابهم، ولكنه على العكس، كان يتوارى. بالتأكيد كان سيصل سالماً إلى أسفل الجبل، كما إلى أسفل الهيكل، ولكن كيف كان يمكن أن يتم المكتوب عنه إنه لم يطلب مجد نفسه؟ «أما هو فجاز في وسطهم ومضى». جاز ومضى غير ملحوظ ولا معروف، متخفياً في صورة عبد*"[1].

ياله من شعاع من المجد الإلهي يسطع من هذا الإنسان الذي تحول في هدوء في مواجهة المجمع الثائر، واجتاز في وسطهم دون أن يجرؤ أحد أن يضع عليه يداً.

وفي (مر٦: ١-٦، مت١٣: ٤٥-٥٨) نراه أيضاً في الناصرة، محتقراً ومرذولاً «أليس هذا هو النجار ابن مريم... فكانوا يعثرون به».

لقد عاش بينهم دهراً، وصنع فى وسطهم معجـــزات عديـــدة، ولمعـــت أمامهم حكمته، ومع ذلك لم يعتدوا به. أفلا يدهشنا ذلك؟ وماذا نقـــول عن شبابنا، بنين وبنات، الذين عاشوا في بيوت مسيحية، وسمعوا كثـــيراً عن الرب ونعمته منذ نعومة أظفارهم، بل وربما تأثروا حيناً بنعمتـــه، ولكنهم تحولوا عنه، ولم يعودوا يعتدون به ولا بكلمته، بل يزدرون بدمه وبروح النعمة؟ (عب١٠: ٢٩).

«ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة» فليـــس هنـــاك خـــلاص للأشرار الذين يرفضون المخلص. لكن الكلمة تضيف القول «غير أنـــه وضع يديه على مرضى قليلين فشفاهم» فالنعمة استطاعت أن تصل إلـــى من كانوا في حاجة إليها، وهناك وجد شعاعاً خافتاً من الإيمـــان، اجتـــذب قوته ونعمته فعمل وشفى، بالرغم من حالة عدم الإيمان التي سادت بينهم.

يسوع الناصري

هذا الاسم – اسم الاحتقار – ورد أربع عشرة مرة فـــي الأنـــاجيل وسبع مرات في سفر الأعمال، أي إحدى وعشرين مـــرة فـــي العـــهد الجديد. "*والله لم يحتقر الناصرة، ولكن الإنسان أحتقر يسوع لأنه جـــاء من الناصرة*"(٢).

لما جاء فيلبس إلى نثنائيل وقال له «وجدنا الذي كتب عنه موسى... يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة»، قال له نثنائيل: «أَمِنَ النـــاصرة

يمكن أن يكون شيء صالح؟»، معبراً بذلك عن نظرة الاحتقـــار لتلـــك القرية. والجمع يقول لبارتيماوس الأعمى «يسوع الناصري مجتـــاز»، لكن الأعمى مفتوح البصيرة يصرخ قائلاً «يـــا ابـــن داود ارحمنـــي». والعسكر أيضاً في جثسيماني يطلبون يسوع الناصري (يـــو١٨: ٥،٧). وهكذا تسميه الجارية التي أنكره أمامها بطرس (مـــر١٤: ٦٧) وأيضـــاً بيلاطس في الكتابة التي وضعها على الصليب يقول «يسوع النـــاصري ملك اليهود» (يو١٩: ٩).

لكن في صباح القيامة ينطق الملاك بنفس هذا اللقب للنساء اللواتـــي أتين إلى القبر قائلاً «أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. قد قـــام» (مر١٦: ٦)؛ فيجلعه من ألقاب أمجاده. وتلميذا عمواس تكلما أيضاً عـــن "يسوع الناصري" وأنه كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمـــام الله وجميع الشعب. وفي سفر الأعمال يبرز اسم الاحتقار هـــذا باعتبـــاره الاسم الوحيد «تحت السماء الذي به ينبغي أن نخلص» (أع٤: ١٠،١٢). وأخيراً ينطق الرب نفسه بهذا الاسم عن نفسه وهو فـــي قمـــة المجـــد مخاطباً شاول الطرسوسي قائلا «أنا يســـوع النـــاصري الـــذي أنـــت تضطهده» (أع٢٢: ٨).

«هكذا قال الرب فادي إسرائيل قدوسه للمهان النفس لمكـــروه الأمـــة لعبد المتسلطين، ينظر ملوك فيقومون، رؤساء فيسجدون» (أش٤٩: ٧).

كفر ناحوم

«هوذا فتاي» (مت١٢: ١٨)

يوضح متى خروج الرب لحياة الخدمة الجهارية في ص٤: ١٣ بالقول «وترك الناصرة وأتى فسكن في كفر ناحوم التي عند البحر». فهو قد ترك القرية التي قضى فيها سنوات كثيرة من عمره، وجاء ليسكن في كفر ناحوم، المدينة الصاخبة التجارية على شاطئ بحيرة جنيسارات، حيث كان مزمعاً أن يصنع كثيراً من المعجزات ويدلي بمعظم تعاليمه. وفي ذلك الوقت «كان له نحو ثلاثين سنة» (لو٣: ٢٣).

كان امتيازاً عظيماً لتلك المدينة أن ترى ابن الله ساكناً فيها بعض الوقت، فتمت كلمات إشعياء النبي «الشعب الجالس في ظلمة أبصر نوراً عظيماً والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور» (مت٤: ١٦). لكن يالها من مسئولية «لأن من أُعطي كثيراً يُطلب منه كثير» (لو١٢: ٤٨). وكفر ناحوم لم تقبل المسيح، بل هناك - كما في المواضع الأخرى - رُفض واحتُقر أيضاً. «حينئذ ابتدأ يوبخ المدن التي صنعت فيها أكثر قواته لأنها لم تتب: ويل لك يا كورزين. ويل لك يا بيت صيدا... وأنت يا كفر ناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية لأنه لو صنعت في سدوم القوات المصنوعة فيك لبقيت إلى اليوم» (مت١١: ٢٠-٢٣).

فلا سدوم ولا كفر ناحوم بقي منهما شيء اليوم. وكفر ناحوم لم

يبق بها سوى خرائب*. وكم عقاباً أشرّ يكون مستحقاً من «داس ابـــن الله» بعد أن سمعه ورآه وشاهد قواته! بل أيضاً كم عقاباً أشر ينتظـــر أولئك الذين يرفضون اليوم إنجيل النعمة، ويتحولون عـــن ذاك الـــذي تعلموه ربما منذ طفولتهم. حقاً «مخيف هو الوقوع في يدي الله الحـــي» (عب١٠: ٣١).

وإذ كانت كفر ناحوم هي مركز خدمته فـــي الجليـــل فقـــد ســـميت «مدينته» (مت٩: ١) وكثيراً ما نراه في مناسبات مختلفة يأتي إلى البيت الذي كان يسكنه.

دعوة التلاميذ

في كفر ناحوم وما حولها، أراد الرب أن يضم إليه من بداية خدمتـــه تلاميذ دعاهم هو بنفسه، فتركوا كل شيء وتبعوه. سمعان وأنـــدراوس «تركا شباكهما وتبعاه»، أيضاً «يعقوب ويوحنا تركا أباهما زبدي فـــي السفينة وذهبا وراءه»، «ولاوي (متى العشار) قام وتبعه»؛ يالـــها مـــن طاعة لدعوة السيد. وهم في إتباعهم له كانوا يشاهدونه، وهو «للوقت» يستجيب للنداءات «وأيضاً»** يسدد مختلف الحاجات.

---

* الواقع أن كفر ناحوم لا توجد حالياً ولا حتى خرائبها، بل إن موقعـــها أيضـــاً غـــير معروف على وجه التحديد – المعرب.

** يتميز إنجيل مرقس بهاتين الكلمتين «للوقت» و«أيضاً» – المؤلف.

وبالقرب من كفر ناحوم أيضاً «صعد إلى الجبل، ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه. وأقام اثني عشر ليكونوا معه، وليرسلهم ليكرزوا» (مر٣:١٣،١٤). لنلاحظ أن التلاميذ لم يختاروا من أنفسهم أن يتبعوا السيد، بل هو الذي دعاهم واختار «الذين أرادهم». ولما ذهبوا إليه فهو الذي أقامهم، لكن لا ليرسلهم ليكرزوا أولاً، بل قبل كل شيء «ليكونوا معه»؛ فكل خدمة مثمرة، وكل خدمة مباركة ومؤثرة، لا تكون إلا نتيجة مترتبة على الوجود في حضرته والشركة الدائمة معه.

في لوقا١٤: ٢٥-٣٥ يذكر الرب ثلاثة شروط للتلمذة له، هي الشروط التي تتضمن سر الحياة المباركة المنتصرة. إن كل من يسمع دعوة الرب يسوع: «اتبعني أنت» يجب عليه أن «يحمل صليبه» (مر٨: ٣٤)، فمعرفة اتحادنا مع المسيح في موته شيء، ومعرفة الصليب اختبارياً شيء آخر. أما هذه الشروط الثلاثة فهي متضمنة في القول: «إن كان أحد يأتي إليَّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً. ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً. فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذاً».

فدائرة الروابط العاطفية القوية ينبغي أن يكون المسيح مركزها، وله الأولوية فيها.

وأيضاً النفس ينبغي أن لا تُحسب ثمينة إذا طُلبت تضحيتها لأجل الرب. صحيح أن الموت لأجل المسيح هو نعمة خاصة للبعض وليست للجميع، ولكن إنكار الذات هو شرط أساسي لمن يريد أن يكون تلميذاً له.

والشرط الثالث هو أن «كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذاً». هذا الشرط يجمع في آن واحد جميع مجالات التضحية لأجل المسيح. إنه شرط يسري على «كل واحد»، ولا يستثنى منه تلميذ.

فهل عقدنا العزم وحسبنا النفقة لأن نكون تلاميذ للمسيح*؟

قوّاته

تسرد لنا الأناجيل نحو أربعة وثلاثين معجزة صنعها الرب. لكن يوحنا يكتب قائلاً «وآيات أخر كثيرة صنعها الرب يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب» (يو٢٠: ٣٠، ٢١: ٢٥). وأغلب هذه الآيات صُنعت في كفر ناحوم وما جاورها. هناك بكلمة شفي عبد قائد المئة (مت٨: ٥-١٣) وهناك أمسك بيد حماة بطرس فتركتها الحمى «فقامت

* أن معنى التلمذة للمسيح هو تغيير المركز أو المحور، فسابقاً كانت الذات هي المركز والمحور، أما الآن فالمسيح هو المركز، وهو كل شيء. إن هذا يعني الشيء الكثير. – المعرب

وخدمتهم» (مت٨: ١٥). هناك أيضاً لما صار المساء قدموا إليه مجانين كثيرين، وجميع المرضى؛ فشفاهم. وهناك سُمع أنه في بيت، فجاء إليه قوم يحملون مفلوجاً، ولسبب الجمع نقبوا السطح وأنزلوه إلى الوسط قدام يسوع «فلما رأى إيمانهم» غفر خطايا المفلوج وشفاه.

هناك في كفر ناحوم أيضاً حدثت حكاية الدرهمين (مت١٧: ٢٤-٢٧) التي تبرهن من الجهة الواحدة تواضع يسوع المسيح الذي يقبل أن يدفع الجزية وهو رب الهيكل، واضعاً نفسه في مستوى واحد مع بطرس في هذا الالتزام، ومن الجهة الأخرى تبرهن على مجد الخالق الذي يستطيع أن يأمر سمكة فتأتي له. إن كل ما في الأرض مدين له قبل يكون هو مديناً للناس. وتأمل كلماته التي بها وبخ بطرس الذي وضعه في نفس مستواه، تجدها كلها «ذوقاً صالحاً»، فهو يقول له «أعطهم عني وعنك» ولا يقول «أعطهم عنا».

تعاليمه

كان ربنا يسوع يتكلم بأمثال للجموع. لقد وضح لهم الكلمة حسبما استطاعوا أن يدركوا. وفي كفر ناحوم نطق الرب بأمثال كثيرة، منها أمثال متى١٣، وكان يكيّف كلامه وفقاً لسامعيه، فيختار من الأمثال ما هو من صميم حياتهم اليومية. فلم يتكلم في الجليل كما تكلم في اليهودية، ولم يتكلم إلى الجموع بنفس الأسلوب الذي خاطب به تلاميذه. وفي هذا مثال

لنا، حتى نقدم الكلمة بقدر ما تستوعبها أفهام السامعين، فلا نكلم أطفالاً كما نكلم البالغين، ولا جهالاً كما نكلم أولاد الله. هذا ما سلكه بولس في سفر الأعمال، فهو لم يخاطب الأثينيين كما خاطب اليهود.

وإن كان الرب خاطب الجموع بأمثال، لكن تلاميذه كان يفسر لهم كل شيء (مت١٣: ١٠-١٥). وأكثر من ذلك كان يعلم تلاميذه بطريقة مباشرة حسب قياس إيمانهم. هناك في كفر ناحوم علمهم عن الاتضاع (مت١٨: ١-١٤)، وفي كفر ناحوم أيضاً تكلم إليهم عن الخبز الحي النازل من السماء (يو٦: ٢٤-٥٩).

شخصه

على أنه ليست فقط أقواله وليست فقط قواته هي التي تجتذبنا، بل شخصه قبل كل شيء يجتذب القلب. في يوحنا١٢: ٤١ نقرأ أن إشعياء «رأى مجده وتكلم عنه (عن شخصه)». "*فماذا لو أن إشعياء كان بالرؤيا استطاع أن يرى مجد الرب يسوع، ويتقصى أثر طريقه سائراً من مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى قرية في أرض مولده، فأي سجود كان سيقدمه له، فلقد رآه على كرسيه العالي المرتفع وأذيال ثيابه تملأ الهيكل، والسرافيم تغطي الوجوه من بهاء مجد لاهوته، ونحن نحتاج أن نتعرف على شخصه ونستشعر مجده المستور خلف حجاب أسمك من أجنحة السرافيم؛ حجاب الجليلي المتضع المرفوض من العالم*"(١).

وبأية عواطف كتب الرسول الشيخ الذي كان يسوع يحبه حين يقول في أخريات أيامه «الذي سمعناه. الذي رأيناه بعيوننا. الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة... الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به... لكي يكون فرحكم كاملاً» (١يو١:١-٤). ونحن لا نستطيع أن نسمعه أو نراه أو نشاهده أو نلمسه كما فعل الرسول، لكن تستطيع عيون إيماننا أن تتثبت عليه له المجد - على صفحات الأناجيل الأربعة وتشاهد مجده. وأي موضوع آخر يستطيع أن يملأ قلوبنا فرحاً وشبعاً نظيره؟

وبطرس في كلمات قليلة يصف خدمته بالقول «يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة، الذي جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس، لأن الله كان معه» (أع١٠:٣٨).

لنتأمله ذاهباً من مكان إلى مكان، ثم في الصبح باكراً جداً يمضي إلى موضع خلاء ليصلي، ولما جاءه سمعان وبعض من التلاميذ، وقالوا له «إن الجميع يطلبونك، فقال لهم لنذهب إلى القرى المجاورة لأكرز هناك أيضاً لأني لهذا خرجت. فكان يكرز في مجامعهم في كل الجليل ويخرج الشياطين» (مر١:٣٨).

وعندما طاف في الناصرة «وتعجب من عدم إيمانهم»، لم يكل من أن يستمر في خدمته «وصار يطوف القرى المحيطة يعلم» (مر٦:٦). ولوقا أيضاً يقدمه لنا كمن «كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشر

بملكوت الله» (لو٨:١). وبالرغم من المعارضة التي قابلها، كان يقول للفريسين «بل ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه» (لو١٣:٣٣).

لم يكن يُرى فقط ذاهباً من مكان إلى مكان، لكن أيضاً كان يُرى في الأماكن المختلفة التي كان يقضي فيها أوقات النهار. ومرة عندما سُمع أنه في بيت، فللوقت «اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب. فكان يخاطبهم بالكلمة» (مر٢:٢). وبعد ذلك «أتوا إلى البيت. فاجتمع أيضاً جمع حتى لم يقدروا ولا على أكل خبز» (مر٣:١٩، ٢٠)، ومع ذلك فكان يحرص على أن يكون مع تلاميذه في البيت، ليحدثهم على انفراد. نقرأ عنه بعد شفاء الصبي الذي كان به روح اخرس أصم يصرعه (مر٩) «ولما دخل بيتاً سأله تلاميذه على انفراد لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه» (مر٩:٢٨).

وإذ كان يجتاز في الجليل كان يتحدث إلى تلاميذه عن الآلام التي كانت تنتظره؛ أماهم فبدلاً من أن يفهموا ماذا سيكون للمعلم، كانوا يتحاجون في الطريق بعضهم مع بعض في من هو أعظم! لم يتدخل الرب يسوع إلا فقط «إذ كانوا في البيت»، فسألهم «بماذا كنتم تتكلمون فيما بينكم في الطريق. فسكتوا... فجلس ونادى الاثنني عشر» وكلمهم عن التواضع (مر٩:٣٠-٣٧). وهكذا نراه يسير ويدخل البيت، ويسأل وينتظر بصبر أن تتحدث ضمائر التلاميذ إليهم، ثم يجلس ويدعوهم إليه ليوبخهم وينصحهم بوداعه وحزم.

وفي متى١٣:٣٦ انتظر الرب حتى عادوا إلى البيت ليفسر لتلاميذه الأمثال التي نطق بها.

أما على شاطئ البحر بصفة خاصة، فكان يمارس خدمته العامة. «وإذ كان يسوع ماشياً عند بحر الجليل» دعا سمعان وأندراوس ويعقوب ويوحنا (مت٤:١٨، مر١:١٦). ثم بعد ذلك «خرج أيضاً إلى البحر... وفيما هو مجتاز رأي لاوي بن حلفي جالساً عند مكان الجباية. فقال له اتبعني» (مر٢:١٣-١٤).

وحين تشاور عليه الفريسيون والهيرودسيون ليهلكوه (مر٣:٦) «انصرف يسوع مع تلاميذه إلى البحر، وتبعه جمع كثير... فقال لتلاميذه أن تلازمه سفينة صغيرة لسبب الجمع كي لا يزحموه. لأنه كان قد شفى كثيرين حتى وقع عليه ليلمسه كل من فيه داء. والأرواح النجسة حينما نظرته خرت له» (مر٣:٧-١١).

ما أجمله مشهداً! أنها النعمة العاملة التي لا تكل، والملآنة بالرحمة. في متى ١٣ نراه يخرج من البيت ويجلس عند البحر، ويدخل السفينة، ويجلس ويتكلم بأمثال إلى الجموع الكثيرة الواقفة على الشاطئ. وعند شاطئ البحر أيضاً جاء يايرس وخرَّ عند قدميه، وطلب إليه كثيراً من أجل ابنته.

كان الرب يحب أن يكلم الجموع عند شاطئ البحر، ولكن ذلك

لا يعني أنه كان يخشى أن يدخل المجمع. بل هناك في المجمع شفى رجلاً به روح نجس (مر١: ٢٣). ودخل أيضاً ليشفي الرجل ذا اليد اليابسة دون أن يبالي بعداوة من كانوا يحيطون به (مر٣: ١-٥).

وعندما كان الرب يريد أن يكون منفرداً مع تلاميذه، كان يذهب إلى الجبل. وهناك دعا الاثني عشر (مر٣: ١٣، ١٤). وهناك نطق بالتطويبات (مت٥: ١-١٢). وهناك أيضاً، في مساء يوم عمل، صعد منفرداً ليصلي بعد أن أشبع الجموع، وألزم التلاميذ أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر (مر٦: ٤٥، ٤٦).

وفي مرقس٩: ٢-٨ نقرأ «وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم إلى جبل عالٍ منفردين وحدهم. وتغيرت هيئته قدامهم» ألا توجد بركة خاصة في الانفراد معه، حيث لا نرى أحداً إلا يسوع وحده (ع٨)؟ وفي السكون عند قدميه، حيث نقضي الساعات في الاستماع إليه ورؤية مجده؟ لاشك أنه من النافع لنا أن نجلس عند قدميه كل يوم، وبقدر الإمكان في الصباح الباكر، ومن المهم أيضاً من وقت لآخر – إن أمكن ذلك – أن نقضي عدة ساعات، أو يوماً أو يومين في انفراد معه والاستماع إليه في صمت. هو نفسه كان يحضّهم قائلاً «تعالوا أنتم منفردين إلى موضع خلاء واستريحوا قليلاً» (مر٦: ٣١). ونقرأ في مرقس١: ٣٥ «وفي الصبح باكراً قام وخرج ومضى إلى

موضع خلاء وكان يصلي هناك»

ومع أنه كان يعرف أن يختلي عندما يكون وقت الاختلاء، فإن صفحات الإنجيل تسجل خدمته التي كانت بلا كلل، بصفة خاصة في الجليل. في مرقس ١:٣٣ «كانت المدينة كلها مجتمعة على الباب»، وكما سبق ورأينا عندما جاء إلى البيت في كفر ناحوم «اجتمع كثيرون حتى لم يعد (البيت) يسع ولاما حول الباب» (مر ٢:٢). وعند شاطئ البحر كان كل الجمع يأتي إليه، ومرة أخرى «أجتمع أيضاً جمع حتى لم يقدروا ولا حتى على أكل خبز» (مر ٣:١٩-٢٠). وفي يوم آخر «إذ كان الجمع كثيراً جداً ولم يكن لهم ما يأكلون دعا يسوع تلاميذه وقال إني أشفق على الجمع» (مر ٨:١).

وعند نزوله من جبل التجلي، وجد حول التلاميذ جمعاً كثيراً وكتبة يحاورونهم، وقال لهم «أيها الجيل غير المؤمن... إلى متى احتملكم». ومع ذلك فقد شفى المريض ورده إلى أبيه (مر ٩:١٤-٢٧).

ولا شك إن كل ذلك كان يسبب له تعباً شديداً. ومثالاً لذلك نقرأ في مرقس ٤:٣٦ أن التلاميذ صرفوا الجمع، ثم «أخذوه كما كان في السفينة». وبالرغم من نوء الريح العظيم والأمواج التي كانت تضرب إلى السفينة « كان هو في المؤخر على وسادة نائماً» (مر ٩:٣٨).
"كان هناك كعامل تاعب يلذ له النعاس. هذه كانت الصورة التي يظهر

بها. ولكن تحت هذا الستار، كان هو «صورة الله». فقام كمن جمع الريح في حفلتيه وصر المياه في ثوب (أم ٣٠: ٤)، وانتهر الريح، وقال للبحر: اسكت. ابكم"[١].

أعجب به عبداً كاملاً! خادماً لا يكل. ولكن ما يزيد العَجَب أكثر هو طاعة هذا العبد. إن الإنسان كخليقة الله، وكذلك المؤمن كمفدي الرب، هو عبد. أما هو فقد أراد أن يصير عبداً. "*هذا ما أضفى على خدمته وطاعته مجداً وجعل لهما من القيمة ما لا يُقدّر*"[١].

ألا يؤثر ذلك في قلوبنا ونحن نسمعه يقول بصوت النبي في نهاية حياته على الأرض، عندما تركه الجميع - واحد أسلمه، وآخر أنكره، والباقون مضوا عنه - «أما أنا فقلت عبثاً تعبت باطلاً وفارغاً أفنيت قدرتي» (أش٤٩: ٤). لكن ماذا كان الجواب الإلهي عليه «قليل أن تكون لي عبداً لإقامة أسباط يعقوب ورد محفوظي إسرائيل. فقد جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض». وهو نفسه استطاع أن يقول أيضاً «إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها، ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير» (يو١٢: ٢٤). ألا يذكرنا هذا بمزمور ١٢٦: ٦ حيث نقرأ عن الذين يزرعون بالدموع، فيحصدون بالابتهاج، وعن الذاهب بالبكاء، ومجيئه بالترنم؟

في اتضـــاعك العجيـــب في الطريـــق للصليـــب
كغريبٍ ربي عشتَ

مِن العـــالـــــمِ رفضـــتَ ومـــن النـــاسِ أهنـــتَ
فيـــدَ العـــونِ مددتَ

بالمحبـــةِ العمـــيـــقـــــةْ وبيـــــديك الرقيـــقـــــةْ
نعمـــةَ اللهِ ســـــكبتَ

إن بلمســـة قـــديـــــره أو بـــكلمــــــة وقـــوره
كم ســــقيماً قد شفيت

وجـــدَ الآبُ ســــــروره فيك إذ أظـــهرتَ بـــرَهْ
ورضـــاهُ قـــد فعـــلتَ

وكـــذا نحــــن وجدنـــا فيـــك نـــبراسَ خطانـــا
نســـلكُ كما سلكتَ*

---

* عن ترنيمة فرنسية بتصرف

بيت عنيا

«يوجد محب ألزق من الأخ»
(أم١٨: ٢٤)

ابن الله «المزمع أن يموت»
(يو١١: ٥١، ١٢: ٢٣)

لماذا من بين المدن العديدة والقرى الكثيرة التي جال فيها الرب يسوع، يلمع اسم بيت عنيا ويشتهر؟ مع أنه لم يولد هناك، بل ولد في بيت لحم، ولم يتربَّ هناك بل في الناصرة، ولم يخدم هناك كما خدم في كفر ناحوم. لكن كانت هناك في بيت عنيا عائلة أحبته وأحبها، ولعله لم يحدث في مكان آخر أن استُعلنت بكيفية واضحة كمالات إنسانيته ومجد لاهوته كما استعلنت في بيت عنيا.

في لوقا٩: ٥١ دخل التلاميذ قرية للسامريين ليعدوا للرب مكاناً، فلم يقبله أهل المكان «لأن وجهه كان متجهاً نحو أورشليم». وكم من مكان مر به ابن الإنسان، ولكن لم يكن له فيه «أين يسند رأسه». لكن «فيما هم سائرون دخل قرية، فقبلته امرأة اسمها مرثا في بيتها» (لو١٠: ٣٨) ولقد أعقبت هذه الزيارة زيارات أخرى.

إن يسوع المسيح قد وجد منزلاً كأنه "بيته" حيث كان يستريح في جو كله محبة وتعاطف؛ هناك في «بيت عنيا ... قرية مريم ومرثا أختها» (يو١١: ١). وياله من نتائج مباركة تسلسلت من بعد تلك الزيارة الأولى: ففي يوم التجربة نراه يعود إلى بيت عنيا، ليس ليشفي بل ليعطي حياة. وقبيل آلامه نراه هناك، فتتقدم مريم لتدهن جسده

بطيب كثير الثمن، وهناك يقول الرب «الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها» وكم من مؤمنين في مختلف الأجيال تقووا وتشجعوا وتغذوا وشبعوا بما سطره الوحي عن بيت عنيا. أفما كان يستحق إذن أن يُقبل وأن يُرحب به لما كان هنا على الأرض؟

اللقاء الأول

(لو٣٨:١٠-٤٢)

اتسمت كفر ناحوم بتواصل خدمة الرب الدائبة؛ أما في بيت عنيا فيسود الهدوء. هنا في بيت عنيا نقرأ أكثر من مرة عن "الجلوس" أو "الاتكاء". فعند قدمي يسوع جلست مريم تصغي لكلام السيد. وكم من مرة مدح الرب السامعين له في هدوء وسكون. وإنها لفرصة ثمينة ولذيذة تلك التي نقضيها عند قدميه في الصباح الباكر نسمعه متكلماً في فصل من فصول الكلمة، وننفرد به عند قدميه.

ومنذ اللقاء الأول ارتبكت مرثا في خدمة كثيرة، والرب لم يحدثها في هذا الأمر إطلاقاً إلا عندما خرجت عن حدودها، وطلبت إليه أن يلوم أختها؛ فألفت الرب نظرها بكل هدوء إلى نشاط "الذات" قائلاً «مرثا مرثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة، ولكن الحاجة إلى واحد».

كم مرة ترددت هذه الكلمات على مسامعنا! ولكن إلـــى أي مــدى قبلناها في قلوبنا؟

في الحزن

(يو ١١: ١-٤٤)

«كان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر». *"كان، له المجد، في بيت عنيا كأنه من نفس العائلة، وكان بينهم كأنه في بيته. فلم تكن عواطـف الرب يسوع نحو عائلة بيت عنيا هي عواطف المخلّــص أو عواطــف الراعي، مع أننا نعرف أنه كان هذا وذاك بينهم، بل كانت عواطفه هـي عواطف الصديق الحبيب الوفي"*[١]؛ عواطف نقية ورقيقة، عواطف الذي اختار أن يشترك في اللحم والدم.

من أجل ذلك لما كان لعازر مريضاً أرسلت الأختان إليـــه قـائلتين «يا سيد هوذا الذي تحبه مريض» وأنه لتعبير جميل عزى قلوباً كثـيرة في وسط آلام المرض «الذي تحبه».

ولكن الرب الذي يفطن دائماً إلى فكـر الآب «مكـث حينئـذ فـي الموضع الذي كان فيه يومين». كان في مقدوره أن يسرع لإغاثـــة ذاك الذي يسميه «حبيبنا»، لكنه أراد أن يصنع ما هو أكثر من الشفاء. لقـد قال له المجد «هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليتمجد ابـــن الله به».

كالإنسان المتوكل على الله انتظر الساعة المحددة، وكابن الله عرف كل شيء عن مرض وموت لعازر. لذلك استطاع أن يقول لتلاميذه «لعازر حبيبنا قد نام، لكني أذهب لأوقظه».

لقد انتظرت الأختان طويلاً. لقد انتظرتا الجواب على رسالتهما حوالي العشرة أيام، لأن الرب أخذ أربعة أيام من الموضع الذي كان فيه إلى بيت عنيا، ولابد أن رسل الأختين أخذوا مثل تلك المدة في الذهاب، والرب كان قد مكث في الموضع الذي كان فيه يومين. عشرة أيام فيها كانتا تنتظران جواباً على رسالة عاجلة. من أجل ذلك في حزنهما تقول الأختان كل منهما بدورها: «يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي». لقد عبّرت تلك الكلمات عن مدى الألم الذي أصابهما من جراء غياب الصديق الذي تأخر وصوله كثيراً. لكن الرب كان يدخر لهما شيئاً أفضل. أوليس هذا هو ما يحدث معنا عندما يتأخر الجواب على طلبة نرفعها أو صلاة نقدمها للرب؟ أو لما تطول التجربة عن زمانها الذي نقدّره نحن لها؟

ويا لها من ثقة هادئة يبدو بها الرب أمام مرثا وهو يقول لها «أنا هو القيامة والحياة» وفي ذلك يؤكد مجده وقدرته الإلهية وعظمته. ولكن في اللحظة التي فيها يرى مريم جاثية عند قدميه وباكية، واليهود الذين جاءوا معها يبكون «انزعج بالروح واضطرب»، ثم وهو يقترب من القبر تفجرت عواطفه الإنسانية، حتى أنه «بكى يسوع».

"ولو فتشنا في كل الكتاب لما وجدنا أقصر من هذه الآية العجيبة «بكى يسوع». الرب المخلص، الكلمة الذي صار جسداً، الذي جاء يعلن نفسه كالقيامة والحياة... يسوع المسيح... بكى. ولما جاء إلى القبر انزعج أيضاً في نفسه، كان في داخله ألماً عميقاً ممزوجاً بالأسف لمشهد تسلط الموت على روح الإنسان"(٢).

وخليق بنا أن نتأمل هذا المشهد. فهناك تقدم الرب ومن حوله جمع كثير من سكان بيت عنيا ومن اليهود الذين جاءوا من أورشليم ليعزوا الأختين، ثم التلاميذ ومرثا ومريم. كل أولئك كان لهم أن يشاهدوا أعجب معجزة صنعها الرب. لقد أقام الرب ابنة يايرس ساعة موتها وهي لم تزل على سريرها. وأقام ابن أرملة نايين وهو في طريقه إلى القبر. أما لعازر فقالت عنه مرثا «قد أنتن لأن له أربعة أيام». لقد عمل فيه الفساد. وأمام القبر قال الرب «ارفعوا الحجر». ورفع يسوع عينيه إلى فوق، وشكر الآب وصلى قائلاً «ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت. ليؤمنوا أنك أرسلتني». فاتجهت إليه العيون وتثبتت عليه الأنظار، ثم صرخ بصوت عظيم: «لعازر هلم خارجاً» فخرج الميت.

ويالها من لحظة تفوق الوصف؛ حينما تبرهن مجد ابن الله بهذا النصر على الموت. ومن ذا الذي ينكر عليه أنه ابن الله بعد ذلك؟

ولكننا نعرف قلق رؤساء الكهنة والفريسيين أمام معجزة مثل هذه «فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه»، كما قرروا أن يقتلوا لعازر أيضاً،

لأن بسببه كان كثيرون من اليهود يؤمنون بيسوع.

ومن أصحاح إلى أصحاح بعد هذه المعجزة أخذت ظـــلال المـــوت تتكاثف على طريقه، حتى انتهى إلى الجلجثة.

قبل الفصح بستة أيام

(مر ١١:١١-١٢، ١٩-٢٠، يو ١٢:١-٨)

كان الجمع يهتف له «أوصنا مبارك الآتي باسم الرب» بينمـــا كـــان داخلاً إلى أورشليم. ولكن بالرغم من هذه الحفاوة التـــي اســتقبله بـــها الشعب، لم يفتح أحد في المدينة المقدسة بابه ليقبله. لذلـــك «لمـــا نظـــر حوله إلى كل شيء إذ كان الوقت قد أمسى خرج إلى بيت عنيا مع الاثنـــي عشر» (مر ١١:١١). هناك كان مأوى له (ع١٩، ٢٠)، حيث اســتطاع أن يقضي بضع ساعات أُخَر، بعيداً عن البغضة التي كانت تحيط به.

هناك في بيت عنيا، قبل الفصح بستة أيام صنعوا له عشاء. كـــان هذا هو اليوم الأول من الأسبوع، اليوم الذي قُدس فيما بعد، الذي تمـــت فيه قيامته من الأموات، وظهوره وسط تلاميذه المجتمعين. « فصنعـــوا له هناك عشاء». *"ومهما بدت شخصية لعازر بارزة في أعين الكـــل، لكن العشاء لم يعمل تكريماً له، بل تكريماً لذاك الذي أقامه من الأمـــوات. ويغفل الروح القدس ذكر من هم الذين صنعـــوا العشـــاء. أن النشـــاط البشري الذي أعد العشاء قد سُتِر؛ لكي تلمع تلك الحقيقة العظيمـــة أنـــه*

كان هناك عشاء صنع له وحده"[٣].

كان التلاميذ هم الذين أعدوا الفصح «أين تريد أن نمضي ونعد لتأكل الفصح» (مر١٤: ١٢)، لكن ألم يكن في الواقع هو الذي أعد عشاء بيت عنيا الذي يذكرنا بمائدة الرب؟

أن لعازر ومرثا ومريم "*يقدمون لنا في ثلاث شخصيات المبادئ الثلاثة التي تكوّن الحياة المسيحية في بيت الله، وهي الشركة والخدمة والسجود*"[٣].

«وأما لعازر فكان أحد المتكئين معه» (يو١٢: ٢) "*فمع أنه حاز حياة جديدة بالقيامة من الأموات لكنه يبقى «الميت». من جهة حياته السابقة انتهي بالموت، وهاهو الآن يعيش حياة لا علاقة لها بحياته القديمة*"[٣]. كان أحد المتكئين معه، وبدونه لم يكن له أي حق في أن يشترك في عشائه. يالها من شركة ثمينة للنفس مع مخلصها تحققت على مائدته! لاشك أن هناك أيضاً التمتع بشركة القديسين، تلك الرابطة العظيمة التي توحِّد جميع أولاد الله، لكن هنا في المقام الأول تبرز لنا الشركة معه. ياله من نصيب مبارك أن نكون متكئين معه – ربما بدون كلمة – متمتعين بشخصه وبمحضره والشركة معه!

«كانت مرثا تخدم». قديماً كانت خدمتها لها المكان الأول، لم تكن قد تعلمت أنه قبل أن تعطي للرب يجب أن تأخذ منه. أما في ذلك

الوقت فكانت في المكان المناسب. لم يقل عنها إنها كانت تخدمه هـــو أو تخدمهم هم مثل حماة بطرس (مت٨:١٥،١:٣١). لاشـــك أن خدمتـــها كانت للرب ولمن معه. وفي الوقت الحاضر، كيف نخدمه إن لم يكـــن في ذويه، وفي النفوس التي لازالت بعيدة عنه وتحتاج إليه كالمخلص؟

كانت مريم ملآنة بالمحبة لشخصه، ودون أن تقول كلمة أخذت أثمـــن ما تملك «مناً من طيب ناردين خالص كثير الثمن» وسكبته على قدمـــي يسوع. كان ثمنه «ثلاثمائة دينار» تعادل أجر العامل في سنة كاملة. أمـــا هي فلم يكن لديها شيء تعزه على الرب. وفي الأناجيل الأخرى نراهـــا تسكب الطيب على رأسه، رأس الملك في إنجيل متى، ورأسَ الخادم فـــي إنجيل مرقس، أما هنا في إنجيل يوحنا فسكبته على قدمي ابن الله، فـــامتلأ البيت من رائحة الطيب. لقد كان مزمعاً أن يموت، وكـــانت هـــي فـــي محبتها تشعر بذلك مسبقاً. لقد جاءت في صبـــاح يـــوم القيامـــة نســـاء «حاملات الحنوط الذي أعددنه» (لو٢٤:١). ولكن كان الوقت قد تـــأخر، لأنه سبق وقام. أما مريم فكان في الوقت المناسب، كمـــا يقـــول الـــرب «إنها ليوم تكفيني قد حفظته» (ع٧).

في يوم مجده، سيحيط جميع المفدين بالخروف المذبوح، وســـيرنمون الترنيمة الجديدة، ولكل واحد قيثارات (أو قيثارة) وجامـــات مـــن ذهـــب مملوءة بخوراً (رؤ٥:٨-٩). لن يخفت صوت أحد في هذا الترنيم، فـــي حين أنه الوقت الحاضر مرفوض، وكثيرون من ذويه (مثل التسعة رجـــال

البرص في لوقا ١٧) ينصرفون مكتفين بأنهم قد خلصوا، ناسين أنه يجب عليهم أن يأتوا عند قدميه ليشكروه! ألا يُقدِّر هو بصفة خاصة هذا التسبيح وهذا السجود الذي يتدفق من قلوب شاكرة، فيعطر كل البيت، كما أفاح ناردين مريم رائحته؟

إنه الوقت الآن على الأرض الذي نستطيع فيه أن نخبر بموته وأن نذكره كما طلب هو. أما في السماء فسيكون الوقت قد فات لتحقيق رغبة قلبه هذه.

ياله من بلسان لقلب الرب أن يجد في بيت عنيا مرة أخرى، وإلى حد كبير، الرقة والفهم اللذين قلماً وجدا في طريقه (مز ٦٩ : ٢٠).

الصعود

(لو ٢٤ : ٥٠-٥٣)

لماذا اختار الرب بيت عنيا ليقضي فيها اللحظات الأخيرة من الأربعين يوماً التي كان يظهر خلالها على فترات متقطعة في وسط تلاميذه على الأرض؟ لم يصعد إلى السماء من أورشليم مدينة الملك العظيم التي مع ذلك قد رفضته، ولا من الجليل التي كانت شاهدة لخدمته، والتي طلب أن يذهب إليها التلاميذ (إخوته) ليروه هناك ويؤكد لهم حقيقة قيامته. بل من بيت عنيا حيث لمع مجده بصورة ملحوظة. «ورفع يديه وباركهم» إنها الرؤية الأخيرة والسامية التي كانت ستبقى

تذكاراً لمخلصهم المحبوب لأنه «فيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعد إلى السماء».

وماذا يبقى لهم ليعملوا؟ «فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون ويباركون الله».

ونضيف إلى ذلك أنه هناك على جبل الزيتون هذا سيظهر في يوم نصرته «وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون» (زك١٤: ٤) (الذي تقع بيت عنيا في سفوحه). فحيث بكى وحيث تألم وحيث لمع مجده في وسط البغضة والمقاومة، هناك سوف يأتي ثانية.

عمواس

«إن الرب قام بالحقيقة» (لو٢٤: ٣٤)

تصف لنا نهايات الأناجيل الأربعة جميعها ، مع بداية سفر الأعمـــال، وكذلك الأصحاح الخامس عشر من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثـــوس، قيامة الرب يسوع. وهناك عشر مناسبات فيها ظهر له المجـــد، تـــارة لواحد من تلاميذه، وتارة لأكثر من واحد منهم. وفــــي الأصحاحـــات الأولى من سفر الأعمال نرى الشهادة لهذه القيامة تملأ السطور وما بين السطور أيضاً.

ظهورات الرب المقام

«وبعد ما قام باكراً في أول الأسبوع ظهر أولاً لمريـــم المجدليـــة» (مر١٦: ٩). ولماذا يظهر أولاً لامرأة؟ ولماذا لهذه المـــرأة بـــالذات؟ أليس لأنه يقدر العواطف الرقيقة؟ أليس لأن مريم بصفة خاصـــة قـــد شملها عطفه ونعمته؟ «مريم المجدلية التي كان قد أخرج منـــها ســـبعة شياطين». فعند الصليب وعند القبر عندما دفنه يوسف، ثم والظلام باق في أول الأسبوع، ثم في صباح ذلك اليوم نفسه، نرى مريـــم المجدليـــة باكية محزونة (يو٢٠: ١١-١٨) ثم فرِحة مغنبطة بعد أن رأت الـــرب مقاماً، وسمعت صوته يقول لها في غير كلفة «يا مريم».

ثم بعد ذلك يظهر الرب للنسوة الراجعات من القبر (مت٢٨: ٩)؛ ثـــم

لسمعان وحده (لو٢٤: ٣٤،١كو١٥: ٥)؛ وعن هذه المقابلة بين التلميذ التائب والرب المقام لم يُذكر شيء سوى أنها حصلت، فقد كانت لحظات في المقادس انفردت فيها نفس قد رُدت مع إلهها.

في ذلك اليوم الأول من الأسبوع ظهر الرب لتلمذين منطلقين إلى عمواس (لو٢٤)، ثم في المساء ظهر للرسل والتلاميذ المجتمعين معهم (لو٢٤: ٣٣، يو٢٠: ١٩)، وأراهم يديه وجنبه وقال لهم «سلام لكم... ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب».

وبعد ثمانية أيام وفي أول الأسبوع أيضاً ظهر الرب لتلاميذه المجتمعين ومعهم في هذه المرة توما (يو٢٠: ٢٦-٢٩).

ويوحنا٢١ يرينا كيف ظهر الرب لسبعة من تلاميذه ذهبوا مع سمعان بطرس ليتصيدوا على بحر طبرية؛ وتعبوا عبثاً، لأنهم «في تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً». وفي الصباح لما ناداهم الرب «يا غلمان ألعل عندكم إداماً؟ أجابوه لا». بالتأكيد أنها لحظة لا تُنسى، تلك التي فيها وقف الرب على الشاطئ، وكانت الشبكة ممتلئة سمكاً! ويوحنا، التلميذ الذي كان يسوع يحبه، يقول لبطرس «هو الرب». وبطرس يسرع ويلقي بنفسه في البحر ليلاقيه قبل غيره، (لكن ليس قبل أن يتزر بثوبه، فإنه من غير المستساغ أو اللائق أن نوجد في حضرة الرب كيفما كان مظهرنا أو ملبسنا). وبقية التلاميذ يتبعونه، ثم يتغذون معاً في حضرته

المبآركة. «هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعدما قام من الأموات». وطبعاً المقصود ظهوره لتلاميذه مجتمعين، أما الظـــــهورات الأخـــرى فكانت لأشخاص منفردين.

يخبرنا متى (١٦:٢٨) أنه بعد قيامة الرب انطلق الأحد عشر تلميـــذاً إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم الرب يسوع، وهناك لما رأوه ســـجدوا له. ومن المحتمل أن تكون هذه هي المرة التي ظهر فيها دفعة واحــدة لأكثر من خمسمائة أخ، كان أكثرهم باقياً على قيد الحياة وقـــت كتابـــة الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (٦:١٥).

«وبعد ذلك ظهر ليعقوب» (١كو١٥: ٧)؛ ولم تذكر الأناجيل شـــيئاً عن هذا الظهور. وأخيراً يأخذ الرب التلاميذ ويخرجهم خارجا إلى بيت عنيا، ويرفع يديه ويباركهم.

عمواس

في ظهوره، له المجد، لسمعان ولتوما وللسبعة التلاميذ على بحـــر طبرية، كان الرب يبغي من وراء ذلك رد النفوس التي تطوحت - قليلاً أو كثيراً - عنه. وهكذا فعل مع تلميذين عابسين أُمسكت أعينهما عـــن معرفته. كانا منطلقين من أورشليم إلى عمواس، وبهذه الغلطة كـــانت ستضيع عليهما فرصة تلك المقابلة المفرحة التي كانت في قصده مـــن

نحوهم في تلك الليلة نفسها. كانا لا يفتكران إلا في نفسيهما، لكن ما أبعد أفكار الرب عن أفكارنا. «وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما». هما يبتعدان، لكنه هو يقترب إليهما. كانا عابسين، ولكنه كان مزمعاً أن يفرحهما ويلهب قلبيهما.

وكيف كان ذلك؟

بسؤال أو بسؤالين قادهما إلى التخلص من تثقلهما، ثم جاء دوره في الكلام. ويا ترى في أي موضوع يفاتحهما الحديث؟ إنه يكلمهما عن نفسه. «أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده. ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب». لم يكن مزمعاً أن يبقى مع تلاميذه بعد القيامة إلا قليلاً من الوقت فقط، لكن الكتب ستبقى معهم ولهم.

لقد كانوا – كيهود – إذا ما قرأوا العهد القديم، تفكروا في تاريخ أمتهم وفي أمجادها السالفة، وفي خرابها، وفي الخلاص الذي سيأتي به المسيا. لكن بعد تلك المقابلة أصبحوا يفتشون الكتب ليروا المسيح، وليستطلعوا أخبار حياته وقيامته على كل صفحات العهد القديم، تحت رموز وصور كلها تدير أنظارنا نحو شخصه الكريم (لا٢٣: ١١، ١٤). ومن هنا ندرك كيف كان قلب التلميذين ملتهباً فيهما لما كان يكلمهما في الطريق ويفسر لهما الكتب.

ولما اقتربوا إلى القرية «تظاهر كأنه منطلق إلى مكان أبعد، فألزمـــاه قائلين امكث معنا لأنه نحو المساء وقد مال النهار، فدخل ليمكث معـهما». وما وجدنا الرب فضولياً قط. إنه لا يفرض نفسه، بل يريـــد أن ندعـوه ونرغب في عشرته ونتمسك به، وياله من درس لنا في حياتنا العملية.

«لك قال قلبي قلتَ اطلبـــوا وجـــهي. وجـــهك يــا رب أطلـــب» (مز٢٧: ٨). إذا ما تأسس بيت جديد، فهل هناك رغبة أعز أو أجمـــل من أن نقول للرب «امكث معنا»؟ إن الرب يقدّر هذه الرغبة، وجوابـــها من جانبه «دخل ليمكث معهما».

ولكن بدلاً من أن يجلس الرب على المائدة كمدعو نراه يأخذ مركزه كالمضيِّف. هو الذي يبارك وهو الذي يكسر الخبز ويـــوزع عليـــهما. وقد يبدو هذا مستغرباً، ولكن عندما امتدت يداه المثقوبتان إليهما انفتحت أعينهما وعرفاه ... يالها من لحظة لا تنسى. كان قلبهما ملتهباً فيـــهما طوال الطريق، والآن انفتحت أعينهما ورأيا المخلص المحبوب بعيـــون مفتوحة. ولكنه حينئذ اختفى عنهما؛ ولم يقل الكتاب إنه تركـــــهما، لأن حضوره دائم. لكنهما كان ينبغي أن يتدربا على السير معـــه بالإيمـــان الذي يرى من لا يرى (عب١١: ٢٧)، حتى وإن كانت العين الطبيعيـــة لا تراه كما كانت تراه في أيام جسده.

ومن جهة أخرى، كان اختفاء الرب عن أعينهما بمثابة توبيخ رقيـــق

لهما، وكأنه يقول لهما إن مكانه ليس هنا، حتى ولو كان قد أتى إليهما ليردهما إلى مكان الاجتماع الصحيح.

والرب لم يأمرهما أن يعودا إلى أورشليم، لكنهما بعد أن انفتحت أعينهما، وبعد أن استيقظ قلباهما، وبعد أن تعطرت خواطرهما بسجاياه الحلوة، ماذا كان يمكن أن يفعلا غير الذي فعلاه، وغير الاجتماع بأحباء الرب لكي يتمتعوا جميعاً بحلاوة محضره المبارك؟!

ثم يصلان إلى أورشليم. وماذا؟ هل سيثيران دهشة التلاميذ برسالتهما المجيدة... كلا لقد «وجدا الأحد عشر مجتمعين هم والذين معهم وهم يقولون إن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان». وجميعهم أخذوا يتكلمون معاً بكل تلك الأمور العجيبة التي حدثت معهم«وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلام لكم». ومن المؤكد قطعاً أن أحداً ممن شاهدوا ذلك المشهد العجيب لم ينسه في السنوات التي أعقبت ذلك، لأن كل من تذوق محضر الرب في وسط خاصته المجتمعين لا يمكنه أن يجد شبعاً لنفسه في أي اجتماع آخر أو في أي شيء آخر.

وفي الاجتماع نجد أن الرب مرة أخرى «فتح ذهنهم ليفهموا الكتب» (ع٤٥). إنه سيغيب عنهم، فماذا يتبقى لهم؟ إن حضوره سيتحقق لهم، ولو أنه غير منظور، لما يحضر له المجد في وسط خاصته المجتمعين

باسمه. وكما صار المكتوب هو منهج سلوك هذين التلميذين هكذا أيضاً صار المكتوب هو كنز المؤمنين المجتمعين إلى اسمه، والروح القدس الذي هو «موعد الآب» يكون هناك، ينير الكلمة أمامهم كما ينير أذهانهم لفهمها، آخذاً مما له ليخبرهم.

في هذا الأصحاح (لو ٢٤) كل شيء مفتوح: القبر وقد تدحرج عنه الحجر، والعيون وكانت قبلاً ممسكة والآن تبصر، والكتب وكانت قبلاً تحت برقع (٢كو٣: ١٤) والآن مكشوفة. فالآن شعبه يستطيع أن يراه من خلال تلك الأمور. كذلك الذهن المتجدد، والذي استنير بالروح القدس يستطيع أن يفهم الأمور المختصة به في كتب موسى والأنبياء والمزامير. ثم نتيجة لذلك كله تنفتح القلوب بالتسبيح الذي يمجد الله.

لكن فوق كل هذه حضور الرب وسط خاصته «انظروا يدي ورجلي إني أنا هو. جسوني وانظروا» إنه هو الرب يسوع نفسه الذي عرفوه قبلاً. "*الذي أكل وشرب معهم قبل موته، وأكل وشرب معهم بعد قيامته، هو الرب الذي ملأ شباكهم سمكاً قبل الصليب، وهو الذي فعل نفس الشيء بعد قيامته. وهو الرب الذي أشبعهم خبزاً وسمكاً أيام خدمته، وفعل نفس الشيء بعد قيامته. هو هو الشخص المبارك نفسه الذي رأيناه في بيت لحم والناصرة وكفر ناحوم وبيت عنيا، هو هو الذي نراه في مساء يوم القيامة، وعلى جبل الصعود. لقد قام من الأموات*

ولازالت آثار الجروح التي جُرح بها على الصليب في يديـــه وجنبـــه، وأراها لتلاميذه وهو يظهر لهم أربعين يوماً.

وبنفس اليدين المثقوبتين والجنب المطعون صعد إلى السماء. هو الله الذي جاء في الجسد وهو الإنسان الممجد في الأعالي. هذا هو عين مـــا نحتاج إلى أن نتحققه، أن الرب يسوع بالنسبة لنا ليس شـــخصاً بعيـــداً، عرفنا عنه كلاماً مأثوراً أو تصرفاً حكيماً، لنا به وبأسلوبه فـــي الحيـــاة بعض الإلمام من قريب أو من بعيد، بل هو شخص حي دخل بالجســـد إلى المجد. ليس مجرد معلم كان لجيله، ثم صار للأجيال التالية تاريخاً لرب مات، بل رباً وسيداً حاضراً وحياً إلى أبد الآبدين"[١].

* * * *

أخيراً، ومرة أخرى، نستعيد المكتوب «عظيم هو ســـر التقوى الله ظهر في الجسد، تبرر في الـــروح، تـــراءى لملائكة، كرز به بين الأمم، أومن به في العالم، رفع فـــي المجد».

وسريعاً جداً سنراه وجهاً لوجه، لأن «الذي نـــزل هـــو الذي صعد أيضاً فوق جميع السماوات لكي يملأ الكـــل» (أف٤: ١٠).

يملأ الكل ... ويملأ قلوبنا!

سنراك عن قريبِ*   في ذاك المجد المنيرْ
من تعبِك ستشبعْ   يا مخلصاً قديرْ
بعد أن تنازلتَ و   عشتَ هنا كالفقيرْ
ليمينِه رفَّعـ   ـك الآب أيا جديرْ

في انتظارِك سنحيا   ساهرين يا حبيبْ
قد وعدتَ "أنا آتي   آخذنكمْ عن قريبْ"
يا له فرحاً عظيماً   في لقاكَ يا حبيبْ
مثلَك سوف نكون   إنك نعم النصيبْ

---

* عن ترنيمة فرنسية بتصرف

طبع بمطبعة الإخوة بجزيرة بدران

يطلب من: مكتبة الإخوة

٣ش أنجه هانم شبرا مصر

وفروعها والمكتبات المسيحية الكبرى

رقم الإيداع: ٩٩/٢١٦٤

الترقيم الدولى: ISBN 977-321-000-6

يتحدث هذا الكتاب عن خمس قرى كان لها مكانة متميزة فى حياة ربنا يسوع.

بيت لحم حيث وُلِد.

الناصرة حيث تربى.

كفر ناحوم مركز خدمته فى الجليل.

بيت عنيا فى اليهودية، وهى المكان الوحيد الذى وجد فيه قلوباً تفهمه، وحيث أعلن مجده بطريقة خاصة.

عمواس حيث فتح كالإنسان المقام الكتب لأعين اثنين من تلاميذه فالتهب قلباهما.

خمس قرى خمس مراحل من حياة الرب يسوع على الأرض، حيث ظهر هذا المجد الذى قال الرسول عنه: «والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا، ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً» (يو ١٤:١).

